رفح تستعد للعودة وعليها.. «ياميت»!

ريبورتاج

ومع احتفالات العيد الأول لعودة العريش إلى مصر.. تستعد إسرائيل للانسحاب من باقى الأراضى المصرية فى سيناء.. وهذه المرة تنسحب إلى الحدود الدولية لمصر.. نفس الحدود المصرية ليلة ٥ يونيو ١٩٦٧.

ومن بين المناطق التى تستعد إسرائيل للانسحاب منها منطقة «رفح» المصرية على الحدود المصرية مع قطاع غزة.. وهذه المنطقة هى التى اختارتها إسرائيل منذ ٨ سنوات.. لتقيم عليها أكبر مستعمرة إسرائيلية فى سيناء.. مستعمرة «ياميت»!

محمد خلف الله

وكانت إسرائيل بعد يونيو ٦٧ قد قسمت منطقة رفح المصرية إلى بلدية رفح.. فى قطاع غزة وكما يقول الحاج محمد على عودة أبوحلوة رئيس بلدية رفح المصرية.. فقد كانت إسرائيل تخطط لتفريغ رفح من سكانها بدعوى إجراءات الأمن.. وكانت تنتهز أية فرصة لطرد السكان بعدم منازلهم.. وكانت آخر هذه الأحداث هى ما حدث فى أواخر عام ١٩٧١.. حينما بدأت إسرائيل فى طرد أبناء رفح من المناطق الخضراء فى شمال سيناء.. كما طردتهم من منطقة رفح وهى من أخصب المناطق الزراعية فى سيناء..

وكانت هذه الخطة الإسرائيلية تنفذ فى وقت واحد فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية.. وكانت تعتمد على حملة منظمة لبث الرعب وإرهاب سكانها الشرعيين عن طريق طردهم الأجبارى.. وأهمال الخدمة اليومية لمنازلهم للتعجيل بعملية إخلاء المنطقة من السكان.. وكلها سياسات محسوبة لإخلاء الأراضى المختلة.. عن طريق الترحيل الجماعى لسكانها الشرعيين.. وإعادة تسكينها بالإسرائيليين.. بهدف خلق أمر واقع يعرقل أية عملية لإعادتها لأصحابها الأصليين..

وكانت إسرائيل.. قبل معركة أكتوبر.. تقوم بعمليات التنقيب عن البترول والغاز الطبيعى فى منطقة رفح المصرية.. وكما يقول الحاج محمد أبوحلوة.. فقد اكتشفت إسرائيل الغاز الطبيعى فى منطقة رفح جنوب غزة.. فى منطقة «جوز أبورعد».. وظلت تستغله منذ اكتشافه حتى الآن.. وحقول الغاز الطبيعى التى اكتشفتها إسرائيل فى رفح.. سوف تعود إلى مصر.. كما ستعود أيضا مدينة ياميت التى أنشأتها إسرائيل على الأرض المصرية التى احتلتها فى يونيو ٦٧.. وغيرها من المستعمرات التى أقامتها إسرائيل.. تماما كما تركت إسرائيل مستعمرة «بعوت» فى العريش..

● الرئيس السادات يقبل علم مصر بعد أن قدمه له الفريق أول كمال حسن على.. مشهد تاريخى هل يتكرر فى رفح..؟

وما يحدث فى غزة وفى الضفة الغربية الآن سبق أن حدث فى سيناء.. فقد عمدت إسرائيل بعد معركة يونيو ٦٧ إلى إخلاء الأرض المصرية فى سيناء من سكانها مع محاولة تفتيت تكوينها السكانى حتى يمكن إدماج هذه الأراضى فى خطط إسرائيل التوسعية.. لضم الأراضى العربية..

وما حدث فى رفح كان أخطر هذه الأحداث.. ففى شهر يناير عام ١٩٧٢ وحدت إسرائيل أكثر من ١٠ آلاف مصرى من أبناء رفح المصرية على الحدود المصرية مع قطاع غزة.. وقذفهم بالقوة من ديارهم وقراهم وأرضهم إلى مناطق أخرى.. بدعوى متطلبات «الأمن الإسرائيلى»... وكان هذا الإجراء الإسرائيلى نتيجة لمزاعم لجنة خاصة أمر بتشكيلها الجنرال داڤيد البعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلى..

وعادت هذه اللجنة فى الشهر التالى شهر فبراير ١٩٧٢ فأوصت بعدم السماح لأى من سكان منطقة رفح.. بالعودة إليها.. بعد إخلائهم منها.. وذلك كما تقول اللجنة أيضا لاعتبارات تتعلق «بالأمن»!!

ولنفس الأدعاء.. ولنفس المنطق هدمت إسرائيل خلال نفس الشهر.. شهر فبراير ٧٢.. عددا كبيرا من منازل سيناء.. من بينها ٤٤ منزلا فى العريش.. تقع ٩ منازل منها فى الميدان الرئيسى لميدان العريش.. مما آثار ضجة فى شمال سيناء.. كان من نتيجتها عزل منطقة رفح تماما عن باقى سيناء.. ومنع أصحابها من دخولها وكذلك نزعت ملكية أراضى رفح.. بعد طرد أبنائها.. وتعمى آخر تفريغها من أبنائها كما أحيطت رفح بالأسلاك الشائكة والحواجز رغم أن عددا كبيرا من بدو سيناء.. كان يعمل داخل رفح..

وكان الهدف الحقيقى لهذه الأعمال ليس مجرد «إجراءات أمن» ولكن كان الهدف الحقيقى هو إقامة مستعمرات إسرائيلية.. بمعنى «مستوطنات»!! على نفس الأرض التى نزعت ملكيتها..

ومنى تحكم إسرائيل قبضتها على رفح.. فقد عملت القوات الإسرائيلية على عزل منطقة رفح على مدى عدة أسابيع بهدف إحكام المراقبة التى تقوم بها قوات الأمن فى حالات التسلل.. وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلى إن هذه الإجراءات كانت نتيجة لاكتشاف وجود أعداد بالقرب من المستعمرات الإسرائيلية.. وأعلن أن بدو سيناء الذين يعملون فى منطقة رفح تكفيهم الاستمارة فى عملهم.. وأنهم يستطيعون الحصول على تسهيلات فى الدخول والخروج فى ظل هذه المراقبة..

ورغم هذه المراقبة الشديدة.. فقد استمرت أعمال المقاومة ضد الإسرائيليين.. والدليل على ذلك ما قامت به القوات الإسرائيلية من عمليات للتفتيش ومصادرة وطرد وكما يقول الحاج محمد حسين عودة أبوحلوة من أبناء رفح:

بعد تحرير الأرض المصرية فى رفح.. أصبح الآن فى العريش.. بعد عودتها للسيادة المصرية وقبل حرب أكتوبر قبضت علينا السلطات الإسرائيلية.. وقدمنا للمحاكمة.. وحكم على

● الرئيس السادات يستقبل أبناء سيناء .. بعد عودة العريش

● « بامبت » أقيمت على الأرض المصرية .. في رفح وتحتلها مصر

● الانسحاب الإسرائيلي شرقاً مستمر ورفح تعود قبل عامين

بالسجن ٧ سنوات . وقدمت الحكم . وفي عملية تبادل الأسرى . عادتا مصر . وخرجت بعد ١٤ شهرا قضيتها في السجن . وعدت إلى القاهرة وكنت ممنوعا من دخول سيناء كلها ولكن بعد عودة العريش . عدت إلى العريش . ولكني حتى الآن ممنوع من دخول رفح .

وبعد أن انتهت إسرائيل من تفريغ الأرض في رفح . اعترفت الصحف الإسرائيلية بأن إسرائيل تعزم إقامة قرى زراعية في المنطقة . وتنفيذ مشروع يهدف إلى إنشاء « سيناء كبرى » على المدى البعيد ! ! ليخدم صحراء النقب . وهو الحلم الإسرائيلي الذي لم يتحقق .

واستمرت إسرائيل في سياستها . فرفضت عودة أبناء رفح إلى أراضيهم التي طردوا منها . واستمرت في إقامة المستعمرات الإسرائيلية عليها . كما استمرت في معاملة المصريين معاملة سيئة . ولم يكن هناك أمل في وقف هذه السياسة . ورغم مظاهرات أبناء سيناء ورغم الاحتجاج . ورغم الدعاوى القضائية

شيء واحد .. اضطر إسرائيل للتوقف عن سياستها في سيناء . هو زيارة الرئيس السادات للقدس . ومبادرة السلام المصرية . وبعدها اتفاقية السلام . فقد تحول الموقف فجأة .

وبعد أن كانت إسرائيل ترفض عودة أبناء رفح إلى منطقة رفح . فإنها قد وافقت على عودتهم إلى الأراضي « التي » غير المزروعة . كخطوة أولى . كما يقول محمد على عودة أبو حلوة رئيس بلدية رفح المصرية حتى يتحقق الانسحاب وتعود رفح المصرية .

ويعتز أبناء رفح الذين التقيت بهم . سواء في العريش . أو في القاهرة . بموقف الرئيس السادات من منطقة رفح . بعد أن سرت إشاعات بين الإسرائيليين ووصلت إلى أبناء رفح . أن السادات سوف يستجيب لطلب إسرائيل بالإبقاء على المستوطنات خاصة مستوطنة « بامبت » ولهذا فهم يعتبرون موقف السادات من ضرورة إخلاء إسرائيل لكل المستوطنات . ورفض وجود أية مستوطنة . وكذلك أيضا يطالبون وخلافا اسم السادات على مستوطنة « بامبت » فتصبح مدينة « السادات » بدلا من « بامبت » وتصبح أيضا عاصمة لمنطقة رفح كلها . وتكون فيها المراكز الإدارية ومقر البلدية . وستكون أول منطقة تستقبل القادم من قطاع غزة

ومنذ معاهدة السلام . وأبناء رفح يستعدون للعودة إلى مصر الوطن الأم . بعد غيبة طويلة قد تستمر إلى ١٥ سنة . حتى عام ١٩٨٢ . وهم يعدون الأهازيج والأغاني الوطنية بل إن أبناء رفح ساهموا في إقامة مقر للبلدية . وأشاروا فيها لقاعة فسيحة . وكما يقول محمد على أبو حلوة رئيس بلدية رفح . فقد زارها الحاكم الإسرائيلي للمنطقة ولما شاهد هذه القاعة أعجبته الفكرة وسأل

– فإذا هذه القاعة الفسيحة . هل سيستقبل فيها الرئيس السادات ؟ !

وكانت الإجابة . قاطعة . على لسان أبناء رفح

– إن شاء الله . سوف نستقبل فيها الرئيس السادات

وهنا يفكر أبناء رفح في المستقبل ويتطلعون لليوم الذي يعودون فيه إلى الوطن الأم مصر . يتذكرون أن رفح في حاجة إلى مدرسة ثانوية للبنات . ويتطلعون إلى تحقيق هذا الأمل . بإنشاء مدرسة ثانوية للبنات . سيطلقون عليها اسم سيدة مصر الأولى « جيهان السادات » لتكون « رمزا » لبنات سيناء . وبنات رفح

حلم آخر . يتطلع إليه أبناء رفح وهم ينتظرون يوم العودة . فهم يحلمون بأن يرفع الرئيس السادات العلم المصري على منطقة رفح وفي قلب مدينة بامبت . في احتفال ضخم تظله الأقمار الصناعية . كما حدث في الاحتفال بعودة العريش . لأن منطقة رفح آخر جزء من الأراضي المصرية يعود إلى الوطن الأم مصر . وهو الذي يعود بعد ١٥ سنة من الاحتلال الإسرائيلي . كما أنه أول قطعة أرض مصرية ضاعت في معركة يونيو ٦٧ .

* * *

وتمضي مسيرة السلام . وكما حاصرت القطعة شرقي بالحرب . عادت العريش بالسلام . وسوف تعود رفح . وقد استقر السلام . وفي انتظار عودة رفح . تظل أحلام العودة تنتظر خطة التحقيق .